التناص في شعر وصف الحيوانات والطيور والحشرات في الأندلس

د. نصيب عاشور نصيب محمد (*)

*نبذة عن الموضوع

التناص ظاهرة أسلوبية في الشعر، ولكنها ظاهرة حديثة ، ولعل التناص ينبثق من المبدأ العام النقدي من الفكرة؛ التي تقول " أن النصوص تشير إلي نصوص أخري."(١)

فالشاعر أو المبدع يستدعي نصوصًا ، ويدخلها في سياق النص الأصلي الذي هو من أنتاج الشاعر، أو المبدع لتعطي إشارات ، ودلالات متعددة ، ومختلفة عن المعني السابق، الذي أشار إليه في النص الأصلي ، وبذلك لا بد من وجود نص أصلي، أنشاؤه المبدع، أو الشاعر بحيث يكون بين هذا النص الأصلي علاقة بنصوص أخرى سابقة له، بحيث يكون لهذه العلاقة التبادلية تأثير علي النص الأصلي .

ولو تأمل الناقد ، والمحلل أي نص ؛ لوجد أن أي نص هو تناص من نصوص أخرى " فكل نص هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءي فيه بمستويات متفاوتة بأشكال، ليست عصية علي الفهم بطريقة، أو بأخرى، إذ نتعرف نصوص الثقافة السالفة، والحالية، فكل نص ليس؛ إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة. " (٢)

* أسباب اختيار البحث :-

- كثرة تناثر الأشعار الأندلسية ؛ التي توجي بالتطابق بين الألفاظ والمعاني بل توحي بالتشابه في بنيتها الفنية والشعرية واللفظية؛ لدى أكثر من شاعر عربي في دواوين الشعرالعربي ؛ وخاصة الشعر الأندلسي ؛ ورغبة الباحث في جمع شتات هذه الأشعار في بحث مستقل .

- الكشف عن جانب من محاكاة الشعراء الأندلسيين للشعراء المشارقة في كثير من فنون الشعر، وخاصة فن الوصف .

- الرد علي ما زعمه البعض من أنه سرقات شعرية لدى الشعراء الأندلسيين، وتبين أنه ما هو إلا تناص شعري، وليس سرقة شعرية .

(*) دكتوراه في الأدب والنقد (الأدب الأندلسي).

١ - ناصر علي ، مفهوم التناص في اللغة ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، العدد ٦١، سنة ٢٠٠٤م صـ٤٦

٢ - محمد خير البقاعي ، دراسات في النص والتناصية ، حلب ، مركز الإنماء الحضاري ، الطبعة الأولي ، سنة النشر ١٩٩٨م صـ ٣٨

منهج البحث :

- استعان الباحث في هذا البحث بالمنهج الوصفي التحليلي ، واستعان ببعض المناهج الأخرى لتحقيق أهداف البحث ومقاصده .

- الدراسات السابقة:

- ناصر علي ، مفهوم التناص في اللغة ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، العدد ٦١، سنة ٢٠٠٤م .

مقدمة:

فالنصوص التي تتداخل في النص الأصلي؛ تعطي دلالات أعمق للنص ، وتسهم في تعدد التأويلات؛ لما يتضمنه النص من معارف، وثقافات متعددة تشير إلي ثقافة المبدع والشاعر؛ التي تنم عن تشكيلها من عدة مصادر ثقافية متنوعة ، وعميقة .فجودة التناص، وحسن توظيفه يعتمد علي ثقافة المبدع، ومعارفه، وتجاربه الأدبية ، والثقافية، وموروثه الأدبي، والعلمي، والديني، والاجتماعي؛ الذي يمده بحصيلة كبيرة من المعارف، والعلوم؛ تمكن المبدع، أو الشاعر من توصيل رسالته الأدبية من خلال النص الشعري .

" فأصالة الكاتب، أو الشاعر إنما تلحظ في تجربته العامة ، وأفكاره التي يصورها في إطار تجربته العامة، وأفكاره؛ التي يصورها في إطار تلك التجربة، ولا ضير عليه بعد ذلك أن يستفيد من الميراث الأدبي القومي، أو العالمي في تصوير بعض مواقف قصته ، أو مسرحيته، أو في بعض الصور في قصيدته، شرط أن تتسلل هذه الآراء والمواقف إلي ذلك العمل الأدبي عن طريق الهضم، والتمثيل، لا عن طريق النقل، والترقيع ." (١)

فذاكرة الشاعر، والمبدع هي البوتقة؛ التي تنصهر بها الأفكار، والثقافات والعلوم، ومن خلالها يستحضر الشاعر النص القديم ليتداخل، ويتناص مع النص الجديد الأصلي " فكل نص يتوالد، يتعانق ، يتداخل، وينبثق من هذه النصوص في مجاهل ذاكرة المبدع الأسفنجية؛ التي تمتص النصوص بانتظام ، وبثها بعملية انتقائية خبيرة ، فتشتغل هذه النصوص المستحضرة من الذاكرة داخل النص لتشكل وحدات متعالية في بنية النص الكبري ." (٢)

ومن المقومات الأسلوبية ؛ التي تزيد من القيمة الفنية للتناص انبثاقه من ثقافات متعددة ، ومصادر مختلفة ، ومن أشكال التناص؛ التي يلجأ إليها الشاعر ما يلي :

---

١ - طه أبو كريشة ، أصول النقد الأدبي ، لونجمان ، الشركة المصرية العالمية الطبعة الأولي ١٩٩٦م صـ ١٤١

٢ - صبحي الطعان ، بنية النص الكبري ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ٢٣ ، العددان الأول والثاني ١٩٩٤م صـ ٤٤٦

***أنواع التناص في الشعر الأندلسي .**

أ- التناص الديني في شعر وصف الحيوانات والطيور والحشرات الأندلسية.

وينبع التناص الديني من جنوح شعراء وصف الحيوانات والطيور والحشرات في الشعر الأندلسي؛ للإشارة إلي نصوص دينية تاريخية من خلال نصهم الأصلي في وصف الحيوانات، وقد لاحت ظاهرة التناص الديني في الشعر الأندلسي كثيرًا ، وذلك لما يتمتع به معظم الحيوانات والطيور والحشرات من قصص دينية مثل: قصة الناقة مع سيدنا صالح ، وقصة الحوت مع سيدنا يونس ... وغيرها من القصص الديني مع الأنبياء والرسل ، فلاشك أن شعراء الأندلس ؛ الذين وصفوا الحيوانات، والطيور والحشرات، استسقوا من هذه القصص بعض النصوص الشعرية الفرعية ؛ التي تدل علي التناص الديني في شعر وصف الحيوانات والطيور والحشرات في الأندلس.

" وهذه البنية الكبرى تشابه طبيعة النصّ، وهي زمنيّا سابقة عليه، وتتعاون مع البنية الثقافيّة ، والاجتماعيّة المزامنة له، والتي ينتج النصّ في إطارها، ونخلص من هذه العناصر جميعًا إلى أنّ النصّ هو كلّ كلام متّصل ذو وحدة جليّة تنطوي على بداية ونهاية، ويتّسم بالتماسك، والترابط ، ويتّسق مع سياق ثقافي عام أنتج فيه ، وينسجم مع سياق خاصّ، أو مقام يتعلّق بالعلاقات القائمة بين القارئ ، والواقع من خلال اللّغة، وبين بداية النصّ ، وخاتمته مراحل من النموّ القائم على التفاعل الداخلي، وهذا التفاعل يؤدّي بالنصّ إلى إحداث وظيفته ، التي تتمثّل في خلق التواصل بين منتج النصّ ومتلّقيه."(١)

ويعد ما ذكره الشاعر الأندلسي ابن شهيد من التناص الديني ، فقد عبر الشاعر عن ارتباط الديك بإقامة الصلاة، وقت صلاة الفجر، وقد أبرز الشاعر المكانة العظيمة؛ التي ربطت الديك بالآذان، وإقتران ذلك بأيات القرآن الكريم؛ التي تدل علي مكانة، وعظمة صلاة الفجر، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر الأندلسي ابن شهيد (٣٢٣هـ -٣٩٣هـ) قائلاً : الرمل

أَذِّنَ الـــدِّيكُ فَثُـــبْ أَوْ ثَـــوِّب وانْضَـــحِ القَلْـــبَ بمـــاءِ العِنَـــبِ
وَتَأَمَّـــلْ آيـــةً مُعْجِـــزَة مـــا قَرَأْنَـــا مِثْلَهـــا فـــي الكُتُـــبِ (٢)

ويبدو أن موضوع التناص الديني مع الديك، شغل معظم شعراء وصف الطيور في الأندلس، فكما ذكره الشاعر ابن شهيد، قد ذكره - أيضًا - الشاعر ابن هذيل (٣٥٠ هـ -٣٨٩هـ) وقد ورد ذكره لدى ابن هذيل بأكثر من نص فرعي للتناص، وذلك من خلال حور الشاعر ابن هذيل مع الديك المؤرخ، والعالم العظيم؛ الذي عاصر سيدنا أدم، وسيدنا نوح، وعاصر- أيضًا- هاروت، وكسرى؛ وفي هذا التناص الديني، والتاريخي،أنشد الشاعر ابن هذيل قائلاً : المنسرح

أيـــا صـــديقًا جعلتـــه ســـندًا فـــراح فيمـــا أحبـــه وغـــدا

١ - محمد مفتاح ، كتاب تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيّة التناصّ) الناشر: المركز الثقافي العربي سنة النشر ١٩٨٧م صـ ٣٦٠

٢ - ابن شهيد الأندلسي ، ديوان شعر ابن شهيد الأندلسي صـ ٩٢

طلبت منكم سريكاً (١) خنثًا ... وجئتم لي مكانه لبدا(٢)
صير مني مؤرخاً ولكم ... ظللت من علمه من البلدا
قلت له: آدم أتعرفه ... قال: حفيدي بعصرنا ولدا
نوح وطوفانه رأيتهما ... قال: علونا بف٠يضه أحدا
فقلت: هل لي بجرهم خبر ... فقال: قومي وجيرتي السعدا
فقلت: قحطان هل مررت به ... قال: نفثنا ببرده العقدا
فقلت: صف لي سبا وساكنها ... فعند هذا تنفس الصعدا
فقال: كم لي بدجنهم سحراً ... من صرخة لي وللنوم هدا
فقلت: هاروت هل سمعت به ... فقال: ريشي لسهمه نفدا
فقلت: كسرى وآل شرعته ... فقال: كنا بجيشه وفدا
ولوا وصاروا وها أنا لبد ... فهل رأيتم من فوقهم أحدا
ديك إذا ما انثنى لفكرته ... رأى وجوداً طرائقاً قددا
يرفل في طيلسانه ولهاً ... قد صير الدهر لونه كمدا
إذا دجا الليل غاب هيكله ... كأن حبراً عليه قد جمدا
كأنما جلنار لحيته ... برجان جازا من الهواء مدى
كأن حصناً علا بهامته ... أعده للقتال فيه عدا (٣)

ومن التناص الديني ما أشار إليه الشاعر الأندلسي يوسف بن هارون (٣٠٥ هـ -٤٠٣ هـ) حينما وصف سير الناقة ، ومن يركبها أثناء حركتها الدائمة، كالذي يسجد، ويركع لغير إله قائلاً : بحر الطويل

وَبهمَاءَ مثلِ البَحرِ خَرقاءَ لا تَرى ... سَبيلاً بِها يَهدي فَبالظنِّ يهتَدى
تَرى الرَّكبَ فيها مِن سُرىً فَوقَ عيسهم ... لِغَيرِ إِلَهٍ راكِعينَ وَسُجَّدا (٤)

وظهر التناص – هنا – في ربط الشاعر صورة سير الناقة ، ومن يمتطيها أثناء سيرها السريع ، كالذي يركع ، ويسجد لغير إله " وعلى مستوى النصوص بدلاً من الإيمان بحرفية النص، ونهائيته، تظهر حالة التناص، وهي أن تتساوى كل النصوص ، وتتداخل ، ويحيل كل نص إلى نص آخر، وتحيل كل كلمة إلى كلمة أخرى." (٥)

---

١ - الديك
٢ - لبد: آخر نسور لقمان، وهو مضرب المثل في التعمير وطول البقاء. لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة جـ ٤ صـ ٣٤١
٣ - المقرئ التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ ٥ صـ ٤٩٤
٤ - ابن الكتاني ، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ق٢ صـ ١٧٦
٥ - عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عدد الأجزاء: ٧

وتعد لحوم الأغنام من أجود اللحوم، وألذها طعمًا، ومذاقًا، ومن أكثر منافعها، التي يربي الإنسان الأغنام من أجلها، وقد أشار الشاعر الأندلسي ابن هانئ (٣٢٦ هـ - ٣٦٢هـ) لذلك بوصفه الحمل المشوي قائلاً : بحر البسيط

كأنّما الحَمَلُ المَشوِيُّ في يدِهِ ... ذو النّونِ في الماء لمّا عَضَّهُ النّون
لَفّ الجِداءَ بأيديها وأرجُلِهَا ... كأنّما افتَرَسَتْهُنّ السّراحين (١)

ولا شك أن: " مجال النصّ لا يقتصر على ما فيه من علاقات متناغمة، كما الحال عند البنيويين، بل للمحاكاة شأن في تحقيق هذا المجال ، وذلك إذا ما استطاع المبدع إبداع جديد اتكاءً على التراث السابق." (٢)

ومن التناص الديني - أيضًا - ما استوحاه الشاعر ابن اللبانة (؟ هـ - ٥٠٧هـ) من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع الكافرين ؛ حينما ألقوه في النار، فقال الله عز وجل للنار كوني " بردًا وسلامًا " على إبراهيم ، وفي هذه المعاني ، أنشد الشاعر الأندلسي ابن اللبانة قائلاً : الكامل

وفي القيظ ما يدعو البياض للابس ... يكون به بردٌ له وسلام
لبستُ سواداً والجميع مبيض ... كأني غرابُ والأنام حمام (٣)

وإذا كان من وظائف التناصّ الاختزال الزمني، وذلك بالإحالة إلى إشارات النصّ الأوّل ، فقد استخدم الشاعر ابن رشيق القيرواني (٥٤٥هـ – ٦٠٨هـ) هذا الاختزال الزمني ؛ حينما تناص من حديث النملة مع سيدنا سليمان في نحو قوله " ادْخُلوا مَسْكِنَكُمْ قَبْلَ أَنْ يحطِمَكُم" وهنا أشارة لقول النملة للنمل ؛ حينما مر عليهم سيدنا سليمان ، وفي هذه المعاني ، أنشد الشاعر ابن رشيق قائلاً : السريع

أَسْلَمَني حُبٌّ سُلَيْمانِكُم ... إلى هَوَىً أَيْسَرُهُ القَتْلُ
قالَتْ لَنا جِنْد مَلاَحاتِهِ ... لمَّا بَدا ما قالَتِ النَّمْلُ
قُوموا ادْخُلوا مَسْكِنَكُمْ قَبْلَ أَنْ ... تَحطِمَكُم أَعْيُنُهُ النُّجْلُ (٤)

ويبدو التناصّ بين القولين كليّاً من حيث الفكرة في حين اختلف الأسلوبان في التعبير عنها، وكثيرًا ما يأتى الشاعر بالتناص من القرآن الكريم ، وقد ناص الشاعر ابن خفاجة (٤٥٠هـ -٥٣٣هـ) حينما أشار لسورة الحشر، وما تحمله من آيات عظيمة ، وفي هذه المعاني، أنشد ابن خفاجة قائلاً: الطويل

طَويلُ سَبيبِ العُرفِ وَالعُنقِ وَالشَوى ... قَصيرُ عَسيبِ الذَيلِ وَالأذنِ وَالنَسرِ
لَهُ غُرَّةٌ تَستَصحِبُ النَصرَ طَلقَةٌ ... كَفاكَ بِها في سَورَةِ الحَشرِ مِن عَشرِ(٥)

ومن التناص الديني - أيضًا - ما استوحاه الشاعر الأندلسي الأعمى التطيلي(٤٨٥هـ - ٥٢٥هـ) قائلاً: بحر البسيط

١ - ابن هانئ الأندلسي ، ديوان شعر ابن هانئ الأندلسي صـ٣٧٦
٢ - فهد عكام ، الشعر الأندلسي نصاً وتأويلاً، دار الينابيع ، دمشق طبعة ١٩٩٥م صـ ٨٩.
٣ - ابن اللبانة الداني ، ديوان شعر ابن اللبانة الداني صـ ١٣٢
٤ - ابن رشيق القيرواني ، ديوان شعر ابن رشيق القيرواني صـ١٢٩
٥ - ابن خفاجة الأندلسي ، ديوان شعر ابن خفاجة الأندلسي صـ ١٢٧

يَجولُ ماءُ الصّبا في صحْن وجنته ... وَيُنبتُ الوردَ أحيانًا بها الخفرُ
هو الغزالةُ في إشراق غُرّتِهِ ... وابنُ الغزالةِ لحظًا زانَهُ الحور
أتى به الدهر فردًا في محاسِنِهِ ... فقلْ كثيب وقلْ غصنٌ وقلْ قمر
يا كعبةَ الحُسْنِ طاف العاشقون بها ... لهم بأرْجائِها حجٌّ وَمُعتَمر(١)

وهنا أشار الشاعر إلي مناسك الحج ، والعمرة التي هي ركن أساسي من أركان الإسلام الخمسة ، فأن هذه المناسك تبعث في النفس الطمأنينة، والسكينة ، وكل ما فيها من مكونات، وأعمال تسر الناظرين إليها ، لذا تناص الشاعر من هذه الفكرة بين حسن جمال المناسك ، وحسن جمال الغزالة ؛ التي هي في الأصل المحبوبة .

وكما تناص الشاعر الأعمى التطيلي بأركان الإسلام، وقواعده ، فلم يفوت الشاعر الأندلسي ابن سهل الغرناطي (٦٠٥هـ - ٦٤٩هـ) أن تناص بسنن النبي (ص) ويشير لما واجهه الرسول (ص) من أذى، وتكذيب اتجاه الرسالة السامية ، وفي هذا التناص أنشد ابن سهل الغرناطي قائلاً : الكامل

وَالخَيلُ تَضجَرُ في المَرابِطِ حَسرَةً ... أَلّا تَجوسُ خِلالَ رَهطِ الأَصفَرِ
كَم نَكَّروا مِن مَعلَمٍ كَم دَمَّروا ... مِن مَعشَرٍ كَم غَيَّروا مِن مَشعَرِ
كَم أَبطَلوا سُنَنَ النَبِيِّ وَعَطَّلوا ... مِن حِلیَةِ التَوحیدِ ذُروَةَ مِنبَرِ(٢)

وفي هذا التناص الذي ذهب إليه الشاعر ابن سهل اختذال زمني للزمن؛ لإظهار تكذيب هؤلاء القوم ، وإصرارهم علي الخديعة، والكذب ، ومن هذا الاختذال – أيضًا- ما تناص به الشاعر الأندلسي ابن سعيد (٦١٠هـ - ٦٨٥هـ) في حقيقة ركوب الحمار في مصر، وقد مزج الشاعر هذا التناص التاريخي بتناص ديني من صورة السجود، والركوع في الصلاة ، وفي هذه المعاني ، أنشد الشاعر الأندلسي ابن سعيد قائلاً: المتقارب

لقيت بمصر أشدّ البوار ... ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفي مكارٍ يفوق الرياح ... لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلاً فلا يرعوي ... إلى أن سجدت سجود العثار
وقد مدّ فوقي رواق الثرى ... وألحد فيه ضياء النّهار(٣)

وإذا كان من وظائف التناصّ الاختزال الزمني، وذلك بالإحالة إلى إشارات النصّ الأوّل، فقد تناص لسان الدين ابن الخطيب مختذلاً الزمن، يشير لقصة المسيح عليه السلام ، وذلك في أبياته التالية ؛ حينما أنشد قائلاً : بحر الطويل

١ - الأعمى التطيلي ، ديوان شعر الأعمى التطيلي تحقيق : محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان، الطبعة الأولي ٢٠١٤م صـ ٩٥
٢ - ابن سهل الغرناطي ، ديوان شعر ابن سهل الغرناطي ، تحقيق : يسري عبد الغني عبدالله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م . صـ ٣٥
٣ - المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد (المتوفى: ١٠٤١هـ) كتاب: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، المحقق: إحسان عباس ، الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان ، الطبعة ١٩٩٧م.جـ٢ صـ٣٤٠

فمِـنْ أدْهَـمٍ أضْـفى علَيْـهِ مَسـيحُهُ رِداءً كلَـوْنِ البُـرْسِ ألحَـفَ زَنْجِيّـا
ومِـنْ أشْـقَرٍ كـالبَرْقِ يسْـتَبِقُ الصَّـبا ومِـنْ أشْـهَبٍ يَفْـري أديـمَ الـدُجى فَرْيـا (١)

والشاعر- هنا - تناص من الديانة المسحية ، وقد أشار إلي رداء المسيح عليه السلام .

ب- التناص التاريخي في شعر وصف الحيوانات والطيور والحشرات في الأندلس.

يلعب التاريخ - بحوادثه القريبة، والبعيدة - دورًا كبيرًا في أثراء النص الشعري - في وصف الحيوانات والطيور والحشرات الأندلسية- بكثير من التناص، ولكن هذا التأثر التناصي؛ لكي لا يخل بالسياق العام ، ويكون وجوده داخل النص الأصلي انسيابي، ودون تكلف ؛ لابد علي الشاعر، أو المبدع أن يكون علي دراية كافية بالأحداث التاريخية، والأدبية ؛ التي سادت عصره الأدبي، وكذلك لابد عليه – أيضًا- أن يكون ملمًا بالأحداث التاريخية؛ التي تشابه عصره، وثقافته، فيستسقي منها ما يناسب نصه الشعري الوصفي، وينسجم مع الألفاظ ، والدلالات الشعرية والوصفية .

وقد أورد الشاعر الأندلسي الأسعد بن بليطة (٢) أبيات شعرية يصف بها ديكًا ضمن قصيدة طويلة، يمدح فيها المعتصم بن صمادح ، وقد أنشد الشاعر الأسعد بن بليطة مشيرًا لشخصيات تاريخية عظيمة؛ لها تأثيرها التاريخي العظيم، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر الأسعد بن بلطية قائلاً : الرمل

وقام لها ينعي الدجى ذو شقيقة يدير لنا من عين أجفانه سقطا
إذا صاح أصغي سمعه لأذانه وبادر ضربا من قوادمه الإبطا
كأن أنو شروان أعلاه تاجه وناطت عليه كف مارية(٣) القرطا
سبى حلة الطاووس حسن لباسها ولم يكفه حتى سبى المشية البطا(٤)

والشاعر المبدع من يخلط الأحداث التاريخية، والأدبية في بوتقة الخيال، ويمزج من خلالها النص الأصلي؛ الذي تتآزر فيها النصوص القديمة الفرعية مع النصوص الجديدة ، فيولد النص الأصلي لكن دون عناء الولادة المؤلم" وهكذا يسهم التناصّ في إغناء البنية الفنّية للرحلة الخياليّة، لاسيما أنّه يفسح المجال واسعًا؛ لعرض النصّ على ثقافة المتلقّي" إذ بوسعه

١ - ابن الخطيب ، ديوان شعر ابن الخطيب صـ٧٧٦

٢ - وهو الأسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة، شاعر مجيد تردد على ملوك الطوائف ، ونال جوائزهم وتوفى سنة ٤٤٠هـ الذخيرة المجلد الثانى من القسم الأول صـ ٢٩٠

٣ - أمثال العرب: خذه ولو بقرط مارية، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندى وهى أم الحارث الأعرج ملك غسان، وإليها أشار حسان بن ثابت بقول: أولاد جفة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل.

٤ - المقرئ التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ ٤ صـ ٥١

أن يستوحي مايشاء، بقدر ما يملك من ثقافة، واطلاع، بما ينسجم مع النصّ، ويدعمه، ويؤكّد أعماقه، ولا يناقضه،أو يختلف معه." (١)

وقد عجت البيئة الأندلسية بكثير من الأحداث التاريخية، والأدبية ؛ التي كان بعض الحيوانات محورًا أساسيًا في هذه الأحداث التاريخية ، والأدبية .

استهل الشاعر ابن هانئ الأندلسي تناصه من قصة تاريخية ودينية هي قصة فيل أبرهة، وما حدث مع هذا الفيل، وأهل مكة ، ومع أبرهة ، الذي أمرهم بضرب الفيل؛ حتي يتمكن من هدم الكعبة بيت الله- وهنا - ذكر الشاعر ابن هانئ الأندلسي (٣٢٦هـ - ٣٦٢ هـ) حركة الفيل البطيئة ؛ التي جعلت الجنود؛ ينهلون عليه بالطعنات المزدوجة ، أثناء الحرب ؛ بسبب سيره بخطى منفردة ، وفي هذا أنشد الشاعر ابن هانئ الأندلسي قائلاً : بحر الرمل

شَـغلوا الفيـلَ عليـه فـي الـوغى بثُـوامِ الطّعْـنِ فـي الخَطّـوِ الفُـراد (٢)

ويستمد الشاعر ابن هانئ صورة تناصية تاريخية من ملوك الهند، والسند، وما لديهم من فيلة كانوا يربونها ، وصوت الفيل مميز عن بقية الحيوانات، وفي وصف هذا الصوت، أنشد الشاعر ابن هانئ الأندلسي قائلاً : بحر الطويل

وقد عجمَتْ هندَ الملوك وسِندَهَا ليـالٍ تـركنَ الفيـلَ كـالبَكرِ يَقْلـخ (٣)

ومن وظائف التناص - أيضًا – ضرب الأمثال، وأخذ العبرة ، والعظة من القصص التاريخي، وذلك بأختذال الزمن، والمكان، وفي هذه المعاني، أنشد أبو إسحاق الألبيري ، يصف الإنسان بالكبش مستعيرًا من الكبش لحمه الثمين، وبعض فوائده ؛ فقد شبه الشاعر أبو إسحاق الألبيري (٣٧٥هـ -٤٦٠هـ) ابن النغريلة بالكبش قائلاً:" بحر المتقارب"

فَبـادِر إلـى ذَبحِـهِ قُربَـةً وَضَـحِّ بِـهِ فَهُـوَ كَـبشٌ سَـمين (٤)

وهنا تناص الشاعر أبو إسحاق الألبيري من قصة تاريخية عظيمة ، وهي قصة سيدنا إبراهيم مع سيدنا إسماعيل ، والكبش العظيم ، الذي كان فداءًا لسيدنا إسماعيل عليه السلام ، فهو كبش ثمين .

---

١ - أحمد زياد محبك ، الاستدعاء الثقافي في أنشودة المطر لبدر شاكر السياب ، مجلة باسل حافظ الأسد للعلوم والآداب الإنسانية ، العدد الأول، ١٩٩٨م صـ ١٦

٢ - ابن هانئ هانئ الأندلسي ، ديوان شعر، ت: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٠م صـ ١١٧

٣ - المصدر نفسه صـ ٨٧

٤ - إبراهيم بن مسعود بن سعيد، أبو إسحاق التُّجيبي الإلبِيري (المتوفى: ٤٦٠هـ) ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، المحقق: د. محمد رضوان الداية ، الناشر: دار قتيبة – دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠١ ه – ١٩٨١م) صـ ٩٢

ومن التناص التاريخي ما صرح به الشاعر ابن رشيق (٣٩٠هـ – ٤٦٣هـ) من هبات الملوك، وتعد هبات الملوك من المآثر التاريخية العظيمة، التي تعكس كرم أصحابها ، وحسن نوالهم ، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر ابن رشيق قائلاً: المتقارب

كَأَنِّي بَعْضُ نُجومَ السّماءِ تَصَعَّدَ في الْجَوِّ ثُمَّ انْحَدَرْ
على رِسْلَةٍ مِنْ هِباتِ المُلُو كِ سَفواءَ مَلْمُومَةٍ كالْحَجَرْ
تَعاوَنَ في جَدْلِ أَعْضائِها بَنو أَخْدَرٍ وَبَناتُ الأَغَرّْ (١)

ومن التناص التاريخي قصة سيدنا محمد (ص) مع الذئب ، وقد أشار الشاعر الأندلسي ابن جنان (٦١٥هـ - ٦٤٦هـ) لمخاطبة الذئب ؛ للرسول (ص) وتصديقه لرسالته ، ونبوته قائلاً : الطويل

سلامٌ على من أفصح الذئبُ ناطقًا بتصديقهِ فأعجب لذلك وأشهَدا (٢)

ومن التناص الديني التاريخي الاجتماعي ، ما ورد في قصة النحلي مع المعتصم بن صمادح ، فهو التناص في نحو قوله" فجئت بما جاءه آدم " وهذا يستدعي لنا قصة سيدنا آدم بعد أن أكرمه الله، وأنعم عليه بكثير من نعمه ، لكن سيدنا آدم رد علي هذا الكرم بالعصيان، وعدم الطاعة، فخرج من الجنة، وفي هذه المعاني، أنشد النحلي قائلاً : المتقارب

رضى ابن صمادح فارقته فلم يرضي بعده العالم
وكانت مرتيه جنة فجئت بما جاءه آدم (٣)

ومن وظائف التناص - أيضًا – ضرب الأمثال، وأخذ العبرة ، والعظة من القصص التاريخي، وذلك بأختذال الزمن، والمكان، وفي هذه المعاني، أنشد علي الحصري القيرواني (؟ ه- ٤٨٨هـ) مشيرًا لقصة النمروذ مع البغوضة قائلاً : الكامل

لو كان تحت الأرض أو فوق الذرى حرٌّ أتيح له (٤) العدوّ ليوذى
فاحذر عدوّك وهو أهون هيّنٍ إنّ البعوضة أردت النمروذا (٥)

ووردت القصة نفسها بأسلوب التناص التاريخي- أيضًا – فيما أنشده الشاعر الأندلسي ابن أبي الخصال(٤٦٥هـ- ٥٤٠هـ) قائلاً : السريع

قد قتلَت نمرودَ في ملكِه بعوضةٌ كانَت له تُرصَدُ
لم يستطِع والأَرضُ في خَتمِه أَضعفُ مخلوقٍ لَهُ يَعمِدُ
تَغلغلَت في رأسِهِ حِقبَةً فلم تنَلها حيثُ جالَت يَدُ

١ - الديوان السابق صـ٨٦
٢ - ابن جنان الأندلسي ، ديوان شعر ابن جنان الأندلسي صـ ٨٧
٣ - المقرى التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ ٤ صـ ٩
٤ - ق: لو كنت ... حراً أتيح له..؛ وهو مضطرب.
٥ - ابن الأبار البلنسي ، الكتاب : التكملة لكتاب الصلة جـ ١ صـ ٣٤٢

واللهُ قـــد عاتَـــبَ فـــي نَملـــةٍ نبـــيَّ صـــدقٍ هديُـــهُ يُحمَـــدُ(١)

ويبدو أن التناص بالجذور التاريخية، قد امتدت فروعه لكل عصور الأدب العربي قديمًا وحديثًا، وليس من الغريب أن يتناص أكثر من شاعر في عصر أدبي واحد بالتناص التاريخي نفسه في موضوع واحد، وهذا ما تحقق فيما أنشده الشاعر ابن رشيق القيرواني (٥٤٥هـ – ٦٠٨هـ) قائلاً : الكامل

يـا ربّ لا أقوى علـى دفـع الأذى وبك استعنت على الضعيف الموذي
مـا لـي بعثـت إلـيّ ألـف بعوضـة وبعثـت واحـدة إلـى نمـروذ! (٢)

وهنا- تناص الشاعر ابن رسيق بالتناص نفسه من خلال قصة البعوضة مع النمروذ، وهذا ما أشار له " رولان بارت" قائلاً " كل نص هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة، وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة، أو بأخرى إذ نتعرف فيها نصوص الثقافة السالفة، والحالية، فكل نص ليس؛ إلا نسيجاً من استشهادات سابقة ."(٣)

ومن التناص التاريخي الفلكي، ما تناص به الشاعر ابن حمديس من ظواهر فلكية كانت ثابتة علي مر العصور، والدهور، وهذه الظاهرة هي طلوع الهلال في بداية الشهر الهجري، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر ابن حمديس(٤٤٧هـ- ٥٢٧هـ) قائلاً : الطويل

وليـثٍ مقـيم فـي غيـاضٍ منيعَـةٍ أميـرٍ علـى الـوَحشِ المقيمـةِ فـي القَفْـرِ
يُوَسِّـدُ شـبليه لحـومَ فَـوَارسٍ ويقطـعُ كـاللّصّ السـبيلَ علـى السَّـفْرِ
هزبْـرٌ لـه فـي فيـه نـارٌ وَشَـفْرَةٌ فمـا يَشـتَوي لحـم القتيـلِ علـى الجمـرِ
سـراجاه عينـاهُ إذا أظلـمَ الـدّجى فـإن بـاتَ يسـري باتـتِ الـوحش لا تسـري
لـه جبهـةٌ مثـل المجـنّ ومعطـسٌ كـأنّ علـى أرجائـه صـبغةَ الحبـرِ
يصلصـلُ رعـدٌ مـن عظـيمِ زئيـره ويلمـع بـرقٌ مـن حماليقـهِ الحمـرِ
لـه ذَنَـبٌ مُسْـتَنْبَطٌ منـه سَـوْطُه ترَى الأرض منه وهي مضروبة الظهرِ له
ويضـربُ جنبيـه بـه فَكَأنّمـا فيهمـا طَبْـلٌ يَحُـضّ علـى الكـرّ
ويُضْحك في التعبيس فكّيه عن مدى نيـوبٍ صـلابٍ لـيس تُهـتَمُ بـالفِهْرِ
يصولُ بكفّ عرْض شبرين عرْضُها خناجرُهـا أمضـى مـن القُضُـبِ البتـرِ

١ - ابن أبي الخصال ، رسائل ابن أبي الخصال صـ ٢٤٢
٢ - أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) الكتاب: أبجد العلوم ، الناشر: دار ابن حزم ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م صـ ٦٠١
٣ - أرشيف ملتقى أهل التفسير، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م http://tafsir.net

يجـــرّدُ منهـــا كـــلّ ظَفْـــرٍ كأنّـــهُ هـــلالٌ بـــدا للعـــين فـــي أوّلِ الشـــهرِ (١)

ومـن قصـة الفيـل – أيضًـا- تنـاص الشـاعر ابـن جنـان (٦١٥ هـ -٦٤٦هـ) يصف حالة الفيل حينما برك ، وعزف عن مهاجمة الكعبة ، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر ابن جنان قائلاً : مجزوء الوافر

وأبـــــرك فيـــــل إبرهـــــة غـــــــــداة أراد فلهـــــــــم (٢)

ويبدو أن التناص بالجذور التاريخية ، قد امتدت فروعه لكل عصور الأدب العربي قديمًا، وحديثًا ، وليس من الغريب، أن يتناص أكثر من شاعر في عصر أدبي واحد بالتناص التاريخي نفسه في موضوع واحد .

ومن التناص التاريخي العسكري؛ ما تناص به الشاعر ابن زمرك؛ حينما أشار إلي الجيوش الجرارة ؛ التي يكون الجواد في مقدمتها ، وعلي رأس غرتها ، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر ابن زمرك (٧٣٣هـ -٧٩٥هـ) قائلاً : بحر الكامل

مـــن كـــل منْحفـــز بلمحـــة بـــارق حمـــــل الســـــلاح بـــــه علـــــى طيـــــار
مـــن أشـــهب كالصـــبح يطلـــع غـــرةً فـــــي مســـــتهل العســـــكر الجـــــرّارِ
أو أدهـــــمٍ كالليـــــلِ إلاَّ أنـــــه لـــم يـــرضَ بـــالجوزاء حلـــي عِـــذارِ
أو أحمـــر كـــالجمر يـــذكي شـــعلةً وقـــد ارتمـــى مـــن بأســـه بشـــرار
أو أشـــقرٍ حلَّـــى الجمـــالُ أديمَـــهُ وكســـاهُ مـــن زهـــو جـــلال نُضـــارِ
أو أشـــعلٍ راق العيـــون كأنـــه غَلَـــسٌ يخـــالط سُـــدفةً بنهـــارِ
شـــهبٌ وشـــقرٌ فـــي الطـــراد كأنهـــا روض تفـــتح عـــن شـــقيق بهـــارِ(٣)

وقد يقع التناص في الفكرة العامة مع اختلاف الألفاظ ، ولكن تتفق المعاني.

جـ – التناص الأدبي في شعر وصف الحيوانات والطيور والحشرات في الأندلس.

يمثّل التناصّ رافداً ثقافياً يعتمد عليه الشاعر في بناء عمله الفنّي متكئاً على ثقافته التراثية، سواء أكان هذا الاتكاء شعوريًا أو لاشعوريًا ، وتبدو تقنيّة التناصّ ذات أهمية كبيرة في بلورة المشاعر النفسية.

تلعب الحالة النفسية لشعراء وصف الحيوانات والطيور والحشرات في الأندلس دورًا كبيرًا في تشكيل نصوصهم الشعرية الوصفية ، وتأثر هذه النصوص

---

١ - أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .جـ ٩ صـ ٢٣٩

٢ - ابن جنان (محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري ، ابو عبد الله) ديوان شعر، تحقيق : منجد مصطفي بهجت ، مكتبة لسان العرب ، طبعة ١٩٩٠م صـ ١٥٥

٣ - شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المحقق: مصطفى السقا - إبراهيم الإبياري - عبد العظيم شلبي ، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، عام النشر(١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م) جـ٢ صـ٣٣

بظاهرة التناص الأدبي ، فقد شكلت مشاعر شعراء وصف الحيوانات، وشكواهم من بعض الحشرات تناصًا أدبيًا رفيع المستوي.

بما جعل هؤلاء يتناصون في المعاني الشعرية، والدلالات البلاغية نفسها، بل تناصوا في العبارات الشعرية ذاتها، والأبيات نفسها – أيضًا - ويتضح ذلك فيما تناص فيه الشاعر ابن شرف القيرواني (٣٩٠هـ- ٤٦٠هـ) مع الشاعر الأندلسي ابن رشيق القيرواني، وفي هذا التناص أنشد الشاعر الأندلسي ابن شرف، يشكو من الذباب، والبعوض، والبراغيث قائلاً:

لَكَ مَنزِلٌ كَمُلَت بِشارَتُهُ لَنا ... لِلَهوِ لَكِن تَحت ذاكَ حَديثُ
غَنّى الذُبابُ وَظَلَّ يَزمُرُ حَولَهُ ... فيهِ البَعوضُ وَيَرقُصُ البَرغوثُ(١)

وتناص الشاعر ابن رشيق القيرواني (٣٩٠هـ -٤٦٣هـ) مع ابن شرف القيرواني قائلاً : الكامل

لَكَ مَنزِلٌ كَمُلَت بِشارَة لَهونا ... فيه ولَكِن تَحت ذاكَ حَديثُ
غَنّى الذُبابُ وفظَلَّ يَزمُرُ حَولَهُ ... فيهِ البَعوضُ وَيَرقُصُ البَرغوثُ (٢)

" ولا شك أن الأديب لا يمكن أن ينفصل في تكوينه المعرفي عن غيره ، بل هو عبارة عن تراكمية معرفية، تنمو أغصانها في محيط التلاحم المعرفي المتشابك، ولذلك أصبح الأديب، ومن بعده النص الأدبي بناء متعدد القيم، والأصوات، تتوارى خلف كل نص ذوات أخرى غير ذات المبدع من دون حدود، أو فواصل، ومن ثم فالنص الجديد هو إعادة لنصوص سابقة، لا تعرف إلا بالخبرة، والتدقيق، ورغم ذلك؛ فإن النقاد يلحون على شريطة التجاوز للنصوص؛ التي تناص معها النص الجديد، وإلا أضحى كلامًا معادًا؛ ومن ثم يجب على النص «المتناص أن يتماهى في علاقات غير أحادية السمة مع نصوص أخرى، سواءً كانت علاقة تحويل، أو علاقة تقاطع، أو تبديل، أو اختراق."(٣)

ومن التناص الأدبي، أن يتناص مجموعة من الشعراء في فترات زمنية متباعدة حول جمال بلد بعينه، وهو الأندلس، فقد عرج الشاعر

---

١ - عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ) الكتاب: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: عالم الكتب ، بيروت جـ ٢ صـ ٢٣٥

٢ - علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، أبو الحسن جمال الدين (المتوفى: ٦١٣هـ) الكتاب: بدائع البدائه، طبعة: مصر سنة ١٨٦١ م صـ ٢٢٦/٢٢٧

٣ - أرشيف منتدى الفصيح - ٣ م تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ ، ديسمبر ٢٠١٠ م_ http://www.alfaseeh.com

الأندلسي ابن اللبانة (؟ ه - ٥٠٧ه) إلي المعني نفسه؛ الذي ذهب إليه الشاعر الأندلسي ابن حمديس(٤٤٧هـ - ٥٢٧هـ) ويبدو التناص - هنا - بالألفاظ، والمعاني، والجمل نفسها، وفي هذا التناص أنشد الشاعر الأندلسي ابن اللبانة قائلاً : الكامل

تزل الحيا بنزوله في معهد لَبِس المسرة ربعه المأنوس
فكأنما ماء الضمامُ مُدامةٌ وكأن ساحات الديار كؤوس
بلد اعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشة الطاووسُ (١)

وقد تناص الشاعر الأندلسي ابن حمديس (٤٤٧هـ - ٥٢٧هـ) مع الشاعر الأندلسي ابن اللبانة، وذلك في البيت الثالث لابن اللبانة، ومع البيت الأول لشاعر ابن حمديس، وفي هذا التناص أنشد الشاعر ابن حمديس قائلاً: الكامل

بَلَدٌ أعارَتْهُ الحمامةُ طَوْقَها وكساهُ حُلّةَ ريشِهِ الطّاووسُ
وكأنّ هاتيك الشقائقَ قَهْوَةٌ وكأنّ ساحاتِ الديارِ كؤوسُ (٢)

" وهذه العلاقة تنبثق من رغبة أكيدة في التجديد، وتجاوز الآخر حتى لو كان الآخر المبدع نفسه؛ لأن المبدع ، قد يتناص مع نفسه من خلال نصوصه هو، كما يستطيع أن يتناص مع نص واحد فقط لمبدع آخر، أو نصوص أخرى لأدباء آخرين ، وقد تكون عملية التناص بين جنسين أدبيين لا على مستوى جنس أدبي واحد ، ولا شك " أن التناص يرتكز على مبدأي الشكل، والمضمون، ولا يقف عند حدود أحدهما."(٣)

ومفهوم التناص ليس جديدًا كما يرى بعض الباحثين, بل هو موضوع له جذوره في الدراسات النقدية بمسميات أخرى كالاقتباس ، والتضمين، والسرقات، والمُعارَضات الشّعريّة، وكذلك التشبيه، وما شابهها في النقد العربي القديم, فكل ذلك يدخل من ضمن التناص الحديث.

وقسم العلماء، والبلاغيون التناص إلي" نوعين أساسيين هما التناص الظاهر, ويدخل ضمنه الاقتباس، والتضمين , ويسمى – أيضًا- الاقتباس الواعي، أو الشعوري لأن المؤلف يكون واعيًا به, في حين أن التناص الثاني: هو التناص اللاشعوري, أو تناص الخفاء, وفيه يكون المؤلف

١ - ابن اللبانة الداني ، ديوان شعر ابن اللبانة الداني صـ ٧٦
٢ - ابن حمديس الصلقي ، ديوان شعر ابن حمديس الصلقي صـ ٤٨٨
٣ - أرشيف منتدى الفصيح - ٣ م تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ ، ديسمبر ٢٠١٠ م_ http://www.alfaseeh.com

غير واع بحضور النص، أو النصوص الأخرى في نصه الذي يكتبه , ويقوم هذا التناص في استراتيجيته على الامتصاص، والتذويب والتحويل، والتفاعل النصي." (١)

وقد يظن الظان، أن التناص بين الشاعر ابن اللبانة ، والشاعر ابن حمديس يدخل ضمن السرقات الشعرية ، وكذلك التناص بين الشاعر ابن شرف، والشاعر ابن رشيق يدخل ضمن هذا الحكم، ولكن تقسيم العلماء، والمهتمين بالنقد الأدبي ، التناص إلي تناص مباشر، وتناص غير مباشر؛ فأنه يرد علي شكوك الظانين، والمشككين، ومن يوجهون أصبع الإتهام بالسرقة للشعراء .

" فالتناص المباشر، فيدخل تحته ما عُرف في النقد القديم بالسرقة، والاقتباس، والأخذ، والاستشهاد، والتضمين، فهو عملية واعية تقوم بامتصاص، وتحويل نصوص متداخلة، ومتفاعلة إلى النص، ويعمد الأديب - فيه أحياناً - إلى استحضار نصوص بلغتها؛ التي وردت فيها، كالآيات القرآنية، والحديث النبوي، أو الشعر والقصة ." (٢)

ويري الباحث أن البيت الشعري ؛ الذي ورد فيه التناص لدي الشاعر ابن شرف القيرواني ، والشاعر ابن رشيق القيرواني هو تناص مباشر، وليس سرقة شعرية ، فلو كان سرقة شعرية؛ لكان من الأحرى لأحد الشاعرين، أن يوجه عصى الإتهام للشاعر الأخر، وخاصة أن الشاعرين عاصر كلاهما الأخر - علاوة علي كون الشاعرين من بيئة اجتماعية ، وأدبية، وتاريخية واحدة .

ويدلل الباحث علي نظرته التحليلية قائلاً: فلو لم يحدث ما فترضه الباحث بين الشاعرين لسبب ما، فأن تصارع الشعراء، وتناحرهم علي أثبات ذاتهم لدي الملوك والأمراء... وغيرهم من أهل السلطة، والنفوذ في الأندلس كان كفيلاً بأحد هؤلاء الشعراء، بأن يوجه عصى الإتهام للشاعرين، وعليهما إثبات أحقيتهما في هذا البيت، ولكن هذا لم يرد في كتب الأدب، ولا في كتب تاريخ الأدب، التي اهتمت بذلك الأمر .

---

١ - أرشيف منتدى الفصيح - ٣ م تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ ، ديسمبر ٢٠١٠ م. http://www.alfaseeh.com

٢ - انظر: التناص والتلقي: ١٥صـ ، ومقال نظرية التناص حسين جمعة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ذو الحجة ١٤٢٠هـ جـ ٢ صـ ٣٥٦ /٣٥٧.

" أما التناص غير المباشر، فينضوي تحته التلميح، والتلويح ، والإيماء، والمجاز، والرمز، وهو عملية شعورية يستنتج الأديب من النص المتداخل معه أفكاراً معينة يومئ بها، ويرمز إليها في نصه الجديد ." (١)

ويري الباحث- أيضًا– أن ما ذهب إليه من تحليل في التناص بين الشاعر ابن شرف القيرواني، والشاعر ابن رشيق القيرواني ينطبق علي الشاعرين ابن اللبانة، وابن حمديس في تناصهم حول شكواهم من البعوض، والذباب، والبعوض لأن العوامل بين الشاعرين تكاد تكون العوامل نفسها لدى ابن شرف، وابن رشيق .

وقد يقع التناص بالألفاظ نفسها ، والأوزان، والبحور، فإن دل هذا، فإنه يدل علي دقة الشاعر، وشدة ملاحظته، وسعة ثقافته - وأيضًا – يدل علي معايشته معيشة حقيقية ؛ لهذا الحيوان ومتابعته لحياته، ومراقبته لكل تفاصيلها، وقد أنشد ابن حمديس (٤٤٧هـ -٥٢٧هـ) يصف الزرافة ، ويتناص مع الشاعر الجاهلي امرؤ القيس، وفي هذه المعاني، أنشد ابن حمديس قائلاً : بحر الطويل

وَتَحسَبها مِن نَفسِها إن تَبختَرَتْ تُزَفّ إلى بعلٍ عروساً وتَنجلي
وكم منشدٍ قولَ امرئِ القيسِ حَوْلها أفاطمَ مهلاً بعضَ هذا التدلُّلِ(٢)

وهنا يلاحظ الباحث التناص الأدبي ، والشعري بالألفاظ نفسها في نحو قول الشاعرين " أَفاطِمَ مَهلاً بَعضَ هَذا التَدَلُّلِ" فالشاعر الجاهلي امرؤ القيس ، أنشد في هذه المعاني قائلاً: الطويل

أَفاطِمَ مَهلاً بَعضَ هَذا التَدَلّلِ وَإِن كُنتِ قَد أَزمَعتِ صَرمي فَأَجمِلي (٣)

تلعب الحالة النفسية لشعراء وصف الحيوانات في الأندلس دورًا كبيرًا في تشكيل نصوصهم الشعرية الوصفية ، وتأثر هذه النصوص بظاهرة التناص الأدبي ، فقد شكلت مشاعر شعراء وصف الحيوان ، وشكواهم من بعض الحيوانات، وشكوى بعض الحيوانات منهم تناصًا أدبيًا رفيع المستوي.

ويطلق البعض اسم الجفار علي الماعز، ويعدونه من مسميات الماعز ؛ حينما يولد، ويبلغ من العمر أربعة أشهر، فالذكر منها يطلق عليه جفر، والأنثى جفرة، وقد ذكر الشاعر الأندلسي حازم القرطاجني (٦٠٨هـ -٦٨٤هـ) ذلك المسمي ؛ حينما أنشد يصف لحم الجفار المشوي قائلاً: الطويل

صحابٌ بَرَوا هامَ العداةِ وكم قَرَوا صفيفَ شواءٍ أو قديرٍ معجل

---

١ - انظر: التناص والتلقي: ١٥صـ ، ومقال نظرية التناص حسين جمعة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ذو الحجة ١٤٢٠هـ جـ ٢ صـ ٣٥٦ /٣٥٧.

٢ - ابن حمديس ، ديوان شعر ابن حمديس صـ ٣٣٤، ٣٣٥

٣ - امرؤ القيس ، ديوان شعر امرؤ القيس ، تحقيق : مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م صـ ١١٠

وكم أكثروا ما طاب من لحم جَفْرةٍ وشحمٍ كهُدّاب الدِّمَقسِ المُفَتّل (١)

لقد تناص الشاعر الأندلسي حازم القرطاجني مع الشاعرين الجاهليين الأعشى ، وامرؤ القيس، وقد لاحظ الباحث ذلك من خلال مقارنة النصوص الشعرية لهؤلاء الشعراء، ففي هذه المعاني، أنشد الشاعر الجاهلي الأعشى قائلاً : الطويل

وَألوَت بِكَفٍّ في سِوارٍ يَزينُها بَنانٌ كَهُدّابِ الدِمَقسِ المُفَتَّلِ (٢)

وكذلك أنشد الشاعر الجاهلي امرؤ القيس قائلاً : الطويل

فَظَلَّ العَذارى يَرتَمينَ بِلَحمِها وَشَحمٍ كَهُدّابِ الدِمَقسِ المُفَتَّلِ (٣)

وقد تناص هؤلاء الشعراء في المعاني الشعرية ، والدلالات البلاغية نفسها، بل تناصوا في العبارات الشعرية ذاتها ، والأبيات نفسها– أيضًا - ويتضح ذلك فيما تناصوا به ، ومن التناص بين التراكيب الشعرية ؛ التي تطرح الأفكار نفسها ؛ ما ورد فيما أنشده الشاعر ابن الحاج البلفيقي (٦٨٠هـ – ٧٧١هـ) من أشعار قائلاً :المتقارب

رحلتُ وقطميرُ كلبي رفيقي يؤنِّس قلبي بطول الطريقِ
فلمّا أنختُ أناخ حِذائي يلاحظني لحظ خِلٍّ شفيقِ
ويرعى أذِمَّة رفقي كما يُراعي ذِمامُ الصديقِ الصدوقِ(٤)

وقد تناص الشاعر ابن الحاج مع الشاعر أبو الفتح البستي (٥) فيما أنشده الشاعر قائلاً:المتقارب

فديتُكَ عزَّ الصديقُ الصَّدوقُ وَقلَّ الصَّفِيُّ الحَفِيُّ الوَفِي(٦)

ومن قول الشاعر أبو الفتح البستي - أيضًا – ما أنشده قائلاً : المتقارب

ومَهْما وجدْتَ الصَّديقَ الصَّدُوق فَمكِّنْ لهُ في صَميمِ الفُؤادِ (٧)

---

١ - المقري التلمساني ، نفح الطيب جـ ٥ صـ٥٢٢
٢ - الأعشى ، ديوان شعر الأعشى، تحقيق: محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميزت صـ ٣٥١
٣ - امرؤ القيس ، ديوان شعر امرؤ القيس صـ ١١٠
٤ - ابن الخطيب ، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٧٦هـ) الإحاطة في أخبار غرناطة، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.جـ٢صـ٩٦
٥ - أبو الفتح البستي(? - ٤٠٠ هـ / ? - ١٠١٠ م) علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي.ولد في بست (قرب سجستان) وإليها ينسب، وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين. وخدم ابنه يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر فمات غريباً في بلدة (أوزجند) ببخارى. له (ديوان شعر - ط) صغير، فيه بعض شعره، وفي كتب الأدب كثير من نظمه غير مدون. وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: زيادة المرء في دنياه نقصان
٦ - أبو الفتح البستي ، ديوان شعر ، تحقيق : درية الخطيب / لطفي الصقال ، ، مطبعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٩م صـ ١٣٢
٧ - الديوان السابق صـ ٢٤٣

د- التناص الشعبي في شعر وصف الحيوانات والطيور والحشرات في الأندلس..

والتناص الديني، والتاريخي، والأدبي ، والشعبي يعكس للسامع ، أو المتلقي الكم الهائل من الثقافة ؛ التي تأثر بها الشاعر، أو المبدع ، وأثرت فيه ، فالمتلقي يبحث عن ما هو جديد من التأويلات ، والدلالات؛ التي تعطي النص مذاقًا جديدًا وجمالاً، ومن هذا المنظور، يتّضح " أنّ الدلالة الشعريّة ، لا يمكن أن تعتبر رهينة شفرة وحيدة، بل تتقاطع فيها عدّة شفرات لا تقلّ عن اثنتين، وكلّ منهما ينفي الآخر، فإنتاج النصّ الشعري يتمّ من خلال حركة مركّبة من إثبات ، ونفي نصوص أخرى." (١)

يمثّل التناصّ رافدًا فنّيًا، وثقافيًا، جعل الشاعر على صلة بتراثه الفكري ، وفتح أمام المتلقّي بابًا للحريّة ، أوسع في إخضاع النصّ لثقافته بعيدًا عن ظروف النصّ المرتبطة بالمبدع ، وظروفه، أو ظروف الكتابة الأدبية، وقد امتاز في بعض الأحيان بالكلّية ، والشمولية ، والمباشرة في بعضها في حين كان جزئياً، أو غير مباشر، يعتمد اللمحة الخفية، والإشارة الذكية.

ومن التناص الشعبي، أن يمزج الشاعر في نصه تراكيب شعرية اعتادها الشعب، والعامة ، وتداولوها في لغتهم الشعبية، ولغتهم الفصحة، ومن التناص في هذا ما أنشده الشاعر الأندلسي أبو إسحاق الإلبيري في هذه المعاني قائلاً : الوافر

وَكَم ذيبٍ نُجاوِرَهُ وَلَكِن رَأَيتُ الذِئبَ أَسلَمَ مِن فَقيهِ (٢)

وهنا الشاعر يشير لمكر الذئاب، وتلونها بلون الغدر والمكر، وفي هذه المعاني، أنشد الشاعر ابن سارة قائلاً : مجزوء الخفيف

يا ذئابًا بدت لنا في ثياب ملونة
أحلاماً رأيتم أكلنا في المدونة (٣)

وفي المعاني نفسها، أنشد الشاعر ابن صارة الأندلسي يصف مكر الذئاب حينما تتعامل مع الراعي قائلاً : البسيط

وصاحب لي كداء البطن محبته يودني كوداد الذئب للراعي (٤)

---

١ - صلاح فضل ، شفرات النصّ، دراسة سيميولوجيّة في دراسة القصّ والقصيد، بيروت ، دار الآداب، الطبعة الأولي عام ١٩٩٩م صـ ١١٦.

٢ - أبو إسحاق الألبيري ، ديوان شعر أبي إسحاق الإلبيري صـ ٨٣

٣ - عماد الدين الكاتب الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب والأندلس تحقيق: آذرتاش آذرنوش ، نقحه وزاد عليه : محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي ، الجيلاني بن الحاج يحيى ، الناشر: الدار التونسية للنشر عام النشر: ١٩٧١ م جـ ٢ صـ٣٣٠

٤ - مصطفي عوض الكريم ، الكتاب: ابن صارة الأندلسي حياته وشعره ، الناشر مطبعة مصر(سودان) صـ ٩٣

- أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

- إن شعراء وصف الحيوانات والطيور والحشرات ، مالوا لاستخدام التناص التاريخي في نصوصهم الوصفية للحيوانات الأندلسية ، وقد ساعدت ظاهرة محاكاة شعراء الأندلس الشعراء المشارقة علي انتشار التناص التاريخي ؛ لأن معظم شعراء المشرق تضمنت نصوصهم ، وأشعارهم كثير من أنواع التناص التاريخي .

- وتعد القصص التاريخية لكثير من الحيوانات من العوامل ؛ التي ساعدت علي ظهور التناص التاريخي في شعر وصف الحيوانات والطيوروالحشرات ؛ - علاوة علي أن المجتمع الأندلسي يتكون من عدة أجناس مختلفة ؛ لكل منها تاريخ معين ، وثقافة ، وحضارة خاصة ، تختلف عن باقي الحضارات الأخرى.

- ويعد ارتباط الأدب بالبيئة؛ التي نبع منها أحد العوامل ؛ التي ساعدت علي تسجيل الأحداث التاريخية من خلال الأعمال الأدبية ، وخاصة الشعر، ومقارنة هذه الأحداث الأدبية ، والتاريخية بغيرها من الثقافات، والحضارات .

- وقد عجت البيئة الأندلسية بكثير من الأحداث التاريخية، والأدبية؛ التي كان محورها الأساسي بعض هذه الحيوانات.

- إن التناص الأدبي قد لاحت أفاقه ، وتعددت صوره ، لدى شعراء وصف الحيوانات والطيور والحشرات في الشعر الأندلسي ، وقد ساعدهم في ذلك كثرة محاكاة شعراء الأندلس للشعراء المشارقة في الأغراض ، والموضوعات ، والبناء الشعري ، لكن عنصر التجديد في الشعر، والموضوعات، ونزعة إثبات الذات لدي الشعراء الأندلسيين، خلقت من تناصهم إبداعات أدبية، وفنية رفيعة المستوى، وقد شهد النقاد، والمهتمون بالأدب والنقد بذلك.

- أن شعراء وصف الحيوانات والطيور والحشرات ، مالوا للتناص في أشعارهم بجميع أنواعه، وصوره، وقد تلائم تناص شعراء وصف الحيوانات والطيور والحشرات في الأندلس مع السياق العام ، لوصف هذه الحيوانات .

أهم التوصيات :-

- دراسة شاملة للربط بين التناص في الشعر الأندلسي والتناص في القرآن الكريم .
- دراسة المائيات في الشعر الأندلسي .
- دراسة شعر المؤكلات في الشعر الأندلسي .

المصادر والمراجع :-

١- امرؤ القيس ، ديوان شعر امرؤ القيس ، تحقيق : مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م .
٢- الأعشى ، ديوان شعر الأعشى، تحقيق: محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميزت .
٣- إبراهيم بن مسعود بن سعيد، أبو إسحاق التُّجيبي الإلبِيري (المتوفى: ٤٦٠هـ) ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، المحقق: د. محمد رضوان الداية ، الناشر: دار قتيبة – دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠١ ه – ١٩٨١م) صـ ٩٢

٤- الأعمى التطيلي ، ديوان شعر الأعمى التطيلي تحقيق : محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان، الطبعة الأولي ٢٠١٤م .
٥- ابن جنان (محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري ، ابو عبد الله) ديوان شعر، تحقيق: منجد مصطفي بهجت ، مكتبة لسان العرب ، طبعة ١٩٩٠م .
٦- ابن حمديس الصقلى، أبو محمد عبد الجبار بن أبى بكر محمد ت [٥٢٧ه] ديوان شعره صححه وقد م له : إحسان عباس. دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٠ م.
٧- ابن خفاجة الأندلسي ، ديوان شعر ، تحقيق : عبد الله سنده ، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولي سنة ٢٠٠٦م .
٨- ابن الخطيب ، ديوان شعر ابن الخطيب ، تحقيق : محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولي ١٩٨٩م.
٩- ابن الخطيب ، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٧٦هـ) الإحاطة في أخبار غرناطة، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
١٠- ابن سهل الغرناطي ، ديوان شعر ابن سهل الغرناطي ، تحقيق : يسري عبد الغني عبدالله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م .
١١- أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .
١٢- عماد الدين الكاتب الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب والأندلس تحقيق: آذرتاش آذرنوش ، نقحه وزاد عليه : محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي ، الجيلاني بن الحاج يحيى ، الناشر: الدار التونسية للنشر عام النشر: ١٩٧١ م .
١٣- أبو الفتح البستي ، ديوان شعر ، تحقيق : درية الخطيب / لطفي الصقال ، ، مطبعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٩م
١٤- ابن الكتاني الطيب ، أبو عبد الله محمد بن الحسن (المتوفى: نحو ٤٢٠هـ) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الشروق، عنوان الناشر: بيروت – القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨١ م
١٥- المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد (المتوفى: ١٠٤١هـ) كتاب: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، المحقق: إحسان عباس ، الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان ، الطبعة ١٩٩٧م.
١٦- ـــــــــــــــــ: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المحقق: مصطفى السقا - إبراهيم الإبياري - عبد العظيم شلبي ، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، عام النشر(١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م)
١٧- ابن هانئ الأندلسي ، ديوان شعر، ت: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٠م .

.

- **المراجع** :-
١- صبحي الطعان ، بنية النص الكبري ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ٢٣ ، العددان الأول والثاني ١٩٩٤م .
٢- صلاح فضل ، شفرات النصّ، دراسة سيميولوجيّة في دراسة القصّ والقصيد، بيروت، دار الآداب، الطبعة الأولي عام ١٩٩٩م .
٣- طه أبو كريشة ، أصول النقد الأدبي ، لونجمان ، الشركة المصرية العالمية الطبعة الأولي ١٩٩٦م .
٤- عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الطبعة الأولى ، سنة النشر ١٩٩٩م .
٥- فهد عكام ، الشعر الأندلسي نصاً وتأويلاً، دار الينابيع ، دمشق طبعة ١٩٩٥م .
٦- محمد خير البقاعي ، دراسات في النص والتناصية ، حلب ، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأولي ، سنة النشر ١٩٩٨م .
٧- محمد مفتاح ، كتاب تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيّة التناصّ) الناشر: المركز الثقافي العربي سنة النشر ١٩٨٧م .
٨- مصطفي عوض الكريم ، الكتاب: ابن صارة الأندلسي حياته وشعره ، الناشر مطبعة مصر (سودان)
٩- ناصر علي ، مفهوم التناص في اللغة ، المجلة الثقافية ، الجامعة الأردنية ، العدد ٦١، سنة ٢٠٠٤م .

المجلات والمقالات والمواقع :
١- أحمد زياد محبك ، الاستدعاء الثقافي في أنشودة المطر لبدر شاكر السياب ، مجلة باسل حافظ الأسد للعلوم والآداب الإنسانية ، العدد الأول، ١٩٩٨م .
٢- أرشيف ملتقى أهل التفسير، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م http://tafsir.net
٣- مقال نظرية التناص حسين جمعة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ذو الحجة ١٤٢٠هـ .